

ندوة بعنوان

"استهداف الأمة من بوابة القدس: قراءة في القرار الأمريكي بالاعتراف بالقدس عاصمة للاحتلال الصهيوني

وفي التطورات السياسية المتعلقة بقضية فلسطين"

الرابطة الثقافية، طرابلس

2018/3/13

تقديم: هشام يعقوب

رئيس قسم الأبحاث والمعلومات في مؤسسة القدس الدولية

المحور الأول: القدس قضية بحجم الأمة واستهدافها هو استهداف للأمة

- حين نتحدث عن عنوان يجمع بين الأمة والقدس يجب أن ندرك في البداية طبيعة العلاقة بين هاتين المفردتين.
- القدس ليست مجرد مدينة، بل هي قضية. والصراع عليها وفيها ليس صراع حدود أو جغرافية.
- القدس قضية بحجم الأمة، وهذا ما فهمته الأمة عبر التاريخ: فتح القدس في عهد عمر بن الخطاب عام 15 هـ/636 م، وتحرير القدس في عهد صلاح الدين الأيوبي عام 583 هـ/1187 م.

لو عدنا إلى التاريخ الحديث قليلاً فإنّ بريطانيا عملت على إفشال حملة إبراهيم باشا¹ على بلاد الشام لأنها كانت تخشى أن يقوم الأخير بتوحيد مصر وبلاد الشام، وقد تدخلت بريطانيا فعلياً بسلاحها لإفشال الحملة. الشاهد في القضية أن بريطانيا تنبّهت إلى خطورة أن تقوم أي وحدة قوية في الأمة العربية والإسلامية، فتقاطعت رؤيتها مع رؤية الحالمين بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين بحيث يتم تحقيق أهداف الطرفين: منع قيام الوحدة بين البلدان العربية والإسلامية، وإيجاد وطن لليهود في فلسطين. ومن الأدلة على ذلك أنّ البارون اليهودي اللورد روتشيلد أرسل خطاباً إلى رئيس الوزراء البريطاني بلمرستون في آذار/مارس 1840م قال فيه:

"إنّ هزيمة محمد علي وحصر نفوذه في مصر ليسا كافيين، لأنّ هناك قوة جذب متبادلة بين العرب، وهم يدركون أنّ عودة مجدهم القديم مرهونةً بإمكانيات اتصالهم واتحادهم. إننا لو نظرنا إلى خريطة هذه البقعة من الأرض فسوف نجد أنّ فلسطين هي الجسر الذي يوصل بين مصر وبقعة العرب في آسيا،

¹ محمد علي باشا من أصول ألبانية، خاض وولده إبراهيم باشا حملة على الشام لتوحيدها مع مصر بين 1832 - 1840م، ودخل إبراهيم باشا فلسطين ومنها كان ينوي الذهاب للاستيلاء على سورية لكن بريطانيا تدخلت عسكرياً ومعها الجيش النمساوي والتركي لمنع تحقيق هدفه.

وكانت فلسطين دائماً بوابةً على الشرق؛ والحلّ الوحيد هو زرعُ قوةٍ مختلفةٍ على هذا الجسر في هذه البوابة لتكون هذه القوة حاجزاً يمنع الخطر العربيّ ويحولّ دونه. وإنّ الهجرة اليهودية إلى فلسطين تستطيع أن تقوم بهذا الدور، وليست تلك خدمةً لليهود يعودون بها إلى أرض الميعاد مصداقاً للعهد القديم فقط، ولكنها خدمة للإمبراطورية البريطانية ومخططاتها، فليس مما يخدم الإمبراطورية أن تتكرر محمد سواء بقيام دولة قوية في مصر، أو بقيام الاتصال بين مصر والعرب الآخرين"².

المحور الثاني: السياق التاريخي لاستهداف القدس وفلسطين منذ أول وجود استيطانيّ لليهود في القدس

التاريخ	الحدث
1859م	تأسيس أول حيّ يهودي استيطاني "حي مونتيوري".
1917/11/2	صدور تصريح بلفور الذي وعدت فيه بريطانيا اليهود بتأسيس وطنٍ قوميّ لهم في فلسطين.
1917/12/9	احتلال الجيش البريطاني للقدس.
1947/11/29	الأمم المتحدة تصدر القرار 181 القاضي بتقسيم فلسطين وتحويل القدس.
1948/5/15	إعلان "دولة إسرائيل" على 78% من فلسطين، واحتلال الشطر الغربي من القدس.
1950/1/23	الاحتلال يعلن القدس عاصمة له، ويقرر نقل مقرات الحكومة والكنيسة إليها.
1967/6/7	احتلال الشطر الشرقي من القدس وسقوط المدينة كاملة بيد الاحتلال.
1967/6/27	كنيسة الاحتلال يوافق على ضمّ القدس حيث جرى إلحاق الشطر الشرقي بالغربي.
1980/7/30	كنيسة الاحتلال يقرّ القانون الأساسي للقدس الموحدة الذي ينص على اعتبار القدس الموحدة عاصمة للاحتلال بشطريها، ومقرّاً للحكومة والكنيسة والمحكمة العليا.
1993/9/13	توقيع اتفاق أوسلو بين منظمة التحرير الفلسطينية والاحتلال الإسرائيلي الذي نصّ على ترحيل التفاوض على القدس إلى مفاوضات الحلّ النهائي التي كان يفترض أن تكون بعد 5 سنوات من أوسلو.
2017/12/6	الرئيس الأمريكي دونالد ترامب يعلن اعترافه بلاده بالقدس عاصمة للاحتلال الإسرائيلي ونقل سفارتها من "تل أبيب" إلى القدس.

المحور الثالث: قراءة في القرار الأمريكي بالاعتراف بالقدس عاصمة للاحتلال وفي التطورات على صعيد القضية الفلسطينية

(1) البيئة العامة القرار:

1. بيئة سياسية في بلادنا العربية والإسلامية تشبه مستنقع الرمال المتحركة حيث تشتد قبضة الأنظمة على الشعوب، ويتفاقم الخلاف بين القوى المختلفة. في هذه البيئة هناك أنظمة تخشى من أن تطالها رياح التغيير فتهدد كرسى الحكم من تحت أرجلها، وهناك أنظمة ليست مستقرة وتخشى

² أحمد سعيد نوفل: دور إسرائيل في تفتيت الوطن العربي، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت، ط2، ص 19.

على مصيرها وتسعى إلى توطيد أركان حكمها. وكلا الطرفين من الأنظمة يرى أنّ أمريكا تمتلك العصا السحرية التي تدفع عنها المخاطر، وتثبت أركان حكمها، وترى أيضاً أنّ الكيان الصهيوني هو بوابة الدخول إلى بيت الرضا الأمريكي، وأنّ كلمة السرّ في إرضاء أمريكا والحصول على دعمها هو إرضاء الكيان الصهيوني ومدّ الجسور معه؛ ومن هنا تصبح صورة المقايضة كالآتي: تثبيت هذه الأنظمة ودعمها مقابل إرضاء أمريكا بمصالحها الاقتصادية والسياسية ومن ضمنها حماية الكيان الصهيوني وتمتين علاقات الأنظمة العربية والإسلامية معه. (هناك شعور لدى بعض الأنظمة بأنّ الكيان الصهيوني هو الظهر الوحيد القويّ الذي يمكنها أن تستند إليه لحماية وجودها).

2. بيئة تشهد انقلاباً في التعامل مع القضية الفلسطينية من كونها قضية مركزية للأمة تتمحور حولها قضايا الأخرى ومن كونها قضية جامعة، لتصبح قضية هامشية لا تحظى بالإجماع وتحتلّ مكانها الفتن والحروب في المركز الذي يراد لفلسطين أن تدور حوله ويتمّ التعاطي معها حسب صعود أو نزول أسهم بورصة الحروب، وحسب أهواء من رسم هذه المعادلة الجديدة.

3. بيئة تشهد انقلاباً في سياسة الكثير من الأنظمة العربية والإسلامية التي على سؤنها كانت تتمسك بمعادلة أنّ السلام مع الكيان الصهيوني يمرّ عبر حلّ عادلٍ لقضية فلسطين، ولكنّها اليوم تقول إنه ليس بالضرورة انتظار حلّ القضية الفلسطينية حتى نذهب مع الكيان الصهيوني بعلاقة قوية، بل يمكن أن نفعل ذلك ثم نلزم الفلسطينيين بسقفٍ هذا الاتفاق ومخرجاته. باختصار، هم لا يريدون أن تكون قضية فلسطين عقبة في طريقهم للارتقاء في أحضان العدو الصهيوني. وهم يفكرون بطريقة غير تقليدية أي خارج الصندوق فيقولون إنّ الأنظمة العربية والإسلامية مع الكيان الصهيوني قادرون على تحقيق أهداف ومصالح اقتصادية وأمنية كبيرة خارج نطاق السلام كحلٍ وحيد كان مطروحاً لتطوير العلاقة في إطاره، بل بالعلاقات المباشرة المبنية على المصالح من دون كلفة السلام العالية لدى الشعوب التي لم تتقبلها إلى الآن.

4. ثمة محاولات لنقل عدوى التفريط والتطبيع مع العدو الصهيوني من الأنظمة إلى الشعوب، وفي هذا السياق نفهم تصاعد موجة التطبيع مع العدو الصهيوني على المستويات السياسية والأكاديمية والرياضية والفنية والإعلامية والبيئية وغير ذلك. هناك من يريد تحويل التطبيع من خيانة إلى وجهة نظر ثم إلى أيديولوجيا تكون الثابت الوحيد لدى بعض الأنظمة والجهات فيما كل الثوابت الأخرى قابلة للتغيير. أذكر هنا أن نتنياهو تحدث عن هذا الأمر في أكثر من مناسبة:

❖ في 2017/11/21 قال نتنياهو في تغريدة على تويتر: " أكبر عقبة أمام توسيع دائرة

السلام ليست زعماء الدول التي تحيط بنا بل هي الرأي العام في الشارع العربي الذي تعرض على مدار سنوات طويلة لدعاية عرضت إسرائيل بشكل خاطئ ومنحاز".

❖ في كلمة له أمام الكنيست في 2017/11/22 قال نتنياهو: "من دون اختراق الرأي

العام العربي فإن السلام سيظل بارداً"، وقال: "إننا نشاهد بعض التغييرات التي تطرأ على الرأي العام في الشرق الأوسط، وأعتقد بأن ذلك أمر يجب دعمه ومواصلته".

❖ في 2017/12/28 ادعى نتنياهو "أن تغييراً يحدث في الرأي العام العربي فيما يتعلق

بإسرائيل" و"أن ذلك التغيير لم يعد محصوراً بالأنظمة، وبات يطال الرأي العام في العالم العربي".

5. مراوحة الانقسام الفلسطيني مكانه.

(2) خلفيات القرار الأمريكي بالاعتراف بالقدس عاصمة للاحتلال الصهيوني:

1. تنفيذ ترمب لوعده الانتخابية التي أطلقها لجمهوره الذي انتخبه وعلى رأسهم الناخبون البيض الإنجلوسكسون البروتستانت أو ما يعرف بـ wasp حيث ذكرت صحيفة واشنطن بوست في 2016/11/9 أنّ 80% من هؤلاء صوتوا لترمب، ومعلوم ما هي معتقدات هؤلاء الدينية والسياسية.
2. محاولة خروج ترمب من مأزقه الداخلية:
 - ❖ حربه مع وسائل الإعلام والقضاء ومع ما يسمى الدولة العميقة في أمريكا عمومًا لأنه من خارج النخبة السياسية المعهودة وغريب القرارات.
 - ❖ تباين في أركان إدارته: هناك 36 شخصية تركت مناصبها إلى الآن في إدارة ترمب، وهناك تباين بينه وبين وزارة الخارجية ووزارة الدفاع.
 - ❖ مشكلة التحقيقات في ملف تدخل روسيا في الانتخابات الأمريكية الأخيرة واتهام حملة ترمب بالتواطؤ مع روسيا.
3. محاولة ظهور ترمب بمظهر القوي القادر على اتخاذ قرارات جريئة لم يجرؤ عليها من سبقه من رؤساء أمريكيين منذ أن أصدر مجلس الشيوخ الأمريكي قانون نقل السفارة الأمريكية إلى القدس عام 1995.
4. في سياق الظهور بمظهر القوي سعي ترمب لفرض حلّ للقضية الفلسطينية وهو أمر لم ينجح فيه أي رئيس أو دولة في العالم منذ نكبة فلسطين عام 1948.
5. استغلال البيئة العربية والإسلامية المتفككة، وهي بيئة لم يحصل مثلها منذ عقود طويلة.

(3) أبعاد القرار وتداعياته القريبة والبعيدة: نظرة من زاوية أوسع

1. تصفية القضية الفلسطينية برمتها من خلال استراتيجية إزاحة العقبات التي تعترض خطة تصفية القضية التي يصطلح عليها اليوم بمصطلح "صفقة القرن" the ultimate deal التي تحدث عنها ترمب في 2016/2/21.
 - تغيير قواعد اللعبة في المفاوضات: تقزيم القضايا النهائية الكبرى قبل فرض المفاوضات.
 - أ. إزاحة قضية القدس عبر قرار ترمب ومحاولة حسم مصيرها قبل المفاوضات، ولذلك سمعنا تصريحات من ترمب قال فيها مؤخرًا القدس لن تكون عقبة أمام السلام. وفي هذا السياق يأتي تصعيد تهويد القدس لحسم هويتها عملياً.
 - ب. تصفية قضية اللاجئين الفلسطينيين من خلال إنهاء دور وكالة الأونروا.
 - ت. التعامل مع قضية الاستيطان على أنها ليست عقبة في وجه السلام. وهذا يعني رسم جديد للحدود بين الكيان الصهيوني وأي دولة فلسطينية يمكن أن تنشأ.
 - ث. ضرب مبدأ حل الدولتين - رغم معارضتنا له - والحديث أنه يجب البحث عن خيارات أخرى، والحديث عن حل للدولتين وليس حل الدولتين في

استرجاع جديد لإشكالية الترجمة (الانسحاب من الأراضي الفلسطينية = من أراضٍ فلسطينية).

ج. تحجيم قضية الأسرى والضغط على السلطة الفلسطينية ومنظمة التحرير لوقف مخصصاتهم.

➤ تحييد العقبات التي تقف عقبة في وجه تنفيذ خطة تصفية القضية الفلسطينية:

أ. الشعوب العربية والإسلامية: عبر التطبيع وإغراقها بالفوضى والفتن والاضطرابات.

ب. استهداف قوى الأمة الحية، ومن يتابع يدرك كيف يتم إدراج المؤسسات والأحزاب العاملة لفلسطين على قوائم الإرهاب ومنعها من فتح حسابات في البنوك ومن التحويلات البنكية وملاحقتها، والضغط لإغلاقها.

ت. استهداف المقاومة الفلسطينية، والضغط لنزع سلاحها.

ث. ضرب بيئة المقاومة الفلسطينية: في غزة حصار، وفي القدس إنهاك وتهويد، وفي الضفة الغربية احتلال مباشر ومحاولة تدجين، وفي الأراضي المحتلة عام 1948 تقييد (اعتقال وإبعاد الرموز مثل الشيخ رائد صلاح، وقانون الولاء والقومية..)، وإشغال فلسطينيي اللجوء بهموم حياتهم بعد شلّ الأونروا.

2. ضرب أركان الإجماع في هذه الأمة: رغم خلافات الأمة كانت هناك قضايا تجمعها ومن أهمها القدس، فهناك محاولة لنسف كل مساحات الإجماع ليكون الخيار الوحيد هو النفاذ والتشردم والارتقاء بعد ذلك في حوض الأقوياء كأمريكا والاحتلال الإسرائيلي.

3. إعادة تشكيل المنطقة عبر إعادة إنتاج أنظمة أكثر سوءاً من سابقتها، وأكثر استعداداً للتنازل عن فلسطين. وفي هذا التشكيل الجديد لا مكان لعقدة اسمها قضية فلسطين، ويجب أن يكون الاحتلال الإسرائيلي مكوناً طبيعياً لا حاجز عدا بينه وبين الأمة.

ختامًا: كيف نواجه هذه التحديات التي تهدد قضيتنا الفلسطينية وأمتنا كلّها؟

- 1) الالتفاف حول قضية القدس وفلسطين كمظلة جامعة وتعزيز العمل في إطار ما يجمعنا.
- 2) تعزيز المناعة السياسية والأخلاقية والدينية لدى شعوبنا لرفض التطبيع وصفقة القرن ومواجهة ذلك والإيمان بأنّ هذه المخططات ليست أمرًا واقعيًا بالرغم عن إرادتنا.
- 3) القيام بكلّ ما يمكن من فعاليات ومواقف تبرز رفض الأمة لهذه المخططات فلا زال موقف الشعوب حجرة عثرة أمامها.
- 4) دعم صمود الشعب الفلسطيني لا سيما في القدس.